نظرية التكامل من وجهة نظر القرآن

تأليف: الشيخ مسيح مهاجري
ترجمة: فلاح شيرواني

ـ القسم الأول ـ

كانت هناك منذ القدم، عقيدتان متباينتان بين العلماء، حول كيفية خلق الإنسان، وسائر الموجودات الحية الأُخرى. حيث كان يعتقد البعض منهم باستقلالية أنواع الأحياء، وعدم تكوّن نوع من نوع آخر، بينما كان البعض الآخر يعتقد بتبدل الأنواع.

والإعتقاد القائل بتبدل الأنواع، والمنسوب الى بعض الفلاسفة اليونانيين القدماء، وجد له في القرون الأخيرة مؤيدين، أهمهم؛ عالم الطبيعة الإنجليزي «تشارلز دارو ين» فدارو ين قدّم نظريتين معروفتين: إحداهما؛ تدور حول جميع الموجودات الحية، والأُخرى؛ حول الإنسان بشكل خاص.

وبموجب **النظرية الأولى** المنشورة في كتاب (أصل الأنواع) فإن جميع أنواع الحيوانات نشأت في الأصل من نوع واحد، ثم تبدّل ذلك النوع الى نوعٍ ثانٍ وثالث و... هكذا. أما في النظرية الثانية المنشورة في كتاب (أصل الانسان)، فيقول دارو ين:

« إنّ الإنسان باعتباره من أحد أنواع الموجودات الحيّة، نشأ مع القرد من أصل واحد. وهذان الموجودان ينحدران من أصل مشترك ».

والنظرية الثانية لدارو ين ليس لها اليوم مكان في سوق العلم، غير أن نظرية تبدل الأنواع الى أنواع أُخرى، تحظى باهتمام و تأييد العلماء

الذين يجرون تحقيقات حول مسألة ظهور الحياة على وجه الأرض. فهذه النظرية تقول إن الحشائش المستقرة في قعر المحيطات والمستنقعات والبرك المائية، تبدلت بعد ملايين السنين الى مواد كاربونية، ثم ظهرت من هذه المواد؛ مواد حية، وميكروبات، وبالتالي موجودات حية.

فإذا قلنا بصحة هذه النظرية، فهذا يعني أن جميع الموجودات الحية من جملتها الإنسان نشأت من تلك المواد الكاربونية، وإن ما يدور في الأذهان حول خلق الإنسان من أن الله قام في البداية بخلق آدم من الطين، ثم خلق له زوجاً، فظهر منها البشر، سيتعرض للسؤال. ولكن حتى إذا ما ثبت هذا القانون بشكل كُلّي وعام، فإنه يمكن في نفس الوقت القول بأن الإنسان خُلق بشكل آخر، ولا يشمله هذا القانون.

وهنا نريد أن نعرف رأي القرآن الكريم حول هذه المسألة وذلك من خلال دراسة الآيات الخاصة بخلق الإنسان، لنرى هل أن القرآن الكريم يؤيد هذه النظرية المعروفة بـ «نظرية التكامل» أم يرفضها؟

والآيات الخاصة بخلق الانسان، يمكن تقسيمها الى عدة أقسام:

١ ـ الآيات التي ترى ان التراب هو منشأ خلق الانسان. وهذه الآيات عبارة عن:

«إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»

(آل عمران ــ ٥٩)

«قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ».

(الأعراف ــ ١٢)

«وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ».

(الحجر ــ ٢٦)

«وَإذْ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ».

(الحجر ــ ٣٣)

«... قالَ ءَ أسجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً».

(الاسراء ــ ٦١)

«قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُه، أكَفَرْتَ بِالَّذى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ...».

(الكهف ــ ٣٧)

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفيها نُعيدُكُمْ وَمِنْها نُخرِجُكُمْ تارَةً أُخرى».

(طه ــ ٥٥)

«... فَإنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ في الأرْحامِ ما نَشاءُ الى أجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخرِجُكُمْ طِفلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أشُدَّكُمْ...»

(الحج ــ ٥)

«وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطفَةً في قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحماً، ثُمَّ أنْشَأناهُ خَلْقاً آخَرَ، فَتَبارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الخالِقينَ».

(المؤمنون ــ ١٢، ١٣، ١٤)

«وَمِنْ آياتِه أن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ».

(الروم ــ ٢٠)

«... وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ».

(السجدة ــ ٧ ــ ٨)

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً».

(فاطر ــ ١١)

«إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ».

(الصافات ــ ١١)

«إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ».

(ص ــ ٧١)

«قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ... * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

(ص ــ ٧٥، ٧٦)

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...»

(المؤمن، غافر ــ ٦٧)

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ».

(الرحمن ــ ١٤)

«هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ».

(النجم ــ ٣٢)

«وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً».

(نوح ــ ١٧، ١٨)

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ».

(الأنعام ــ ٢)

٢ ــ أما القسم الآخر، فيتمثل بالآيات التي تقول، ان الله تعالى خلق الانسان من نطفة:

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ».

(النحل ــ ٤)

«وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً...».

(الفرقان ــ ٥٤)

«أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ».

(يس ــ ٧٧)

«أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى».

(القيامة ــ ٣٧، ٣٨)

«أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ».

(المرسلات ــ ٢٠)

«إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً».

(الدهر ــ ٢)

«مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ».

(عبس ــ ١٩)

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ».

(العلق ــ ٢)

وهناك مجموعة أخرى من الآيات التي تتحدث عن خلق زوج لآدم، حيث ورد في ثلاث آيات أن البشر خلقوا من نفس واحدة. وبعد خلق هذه النفس، خلق الله «زوجاً» لها من نفسها. ويقول الباري سبحانه وتعالى في آية من هذه الآيات أن رجالاً ونساءً كثيرين خلقوا من هذين الزوجين:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ نَفْس واحِدَة وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساء».

(النساء ــ ١)

«هُوَ ٱلَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إلَيْها».

(الأعراف ــ ١٨٩)

«خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها».

(الزمر ــ ٦)

وفي ثلاث آيات أُخرى يقول القرآن من دون الإشارة الى «النفس الواحدة» بأن الله خلق الإنسان من رجل وامرأة. وجاء أيضاً في سورة الأنعام:

«وَهُوَ ٱلَّذي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ...»

(الأنعام ــ ٩٨)

«يَا أَيُّها ٱلنّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى وَجَعَلْناكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا...».

(الحجرات ــ ١٣)

«وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنْثى».

(النجم ــ ٤٥)

«وما خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنْثى».

(الليل ــ ٣)

«وَٱللّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً».

(فاطر ــ ١١)

«فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنْثى».

(القيامة ــ ٣٩)

٣ ــ كما توجد هناك آيات أُخرى يستنبط منها بأن الإنسان، خُلق على عدة مراحل:

«وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْليسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدينَ».

(الأعراف ــ ١١)

«وإذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنّي خالِق بشراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ».

(الحجر ــ ٢٨ ــ ٢٩)

«يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ».

(الزمر ــ ٦)

«وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً».

(نوح ــ ١٤)

«أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى * ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى».

(القيامة ــ ٣٨ ــ ٣٩)

«وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاء كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرينَ».

(الانعام ــ ١٣٣)

الى هنا تمكّنا من إلقاء نظرة على الآيات المختصة بخلق الإنسان والمقسمة الى عدة مجاميع. وحان الآن دور إجراء دراسة لهذه الآيات:

الاستنباط من آيات خلق الله:

وهنا، فإننا نكتفي بالقاء نظرة على مفاد هذه الآيات دون الأخذ بنظر الاعتبار كيفية استنباط الآخرين منها. كما سنتحدث عن استنباطنا من هذه الآيات والعلاقة التي قد تكون قائمة بينها على ضوء فرضية التكامل، لكن،

نرى ما هو رأي القرآن الكريم في هذا المجال.

وقبل كل شيء نتطرق الى الآيات الخاصة بخلق الإنسان من التراب (بتعابير مختلفة):

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ».

(آل عمران ــ ٥٩)

وهذه الآية تعتبر رداً على المسيحين الذين كانوا يقولون؛ بما أن المسيح لم يكن له أب، فهو ابن الله. فيقول سبحانه و تعالى بهذا الصدد ما معناه، انه لو كان من المقرر أن يكون الشخص الذي ليس له أب ابناً لله، فإنّ آدم يجب أن يكون هو الآخر إبناً لله، لأن الله خلقه من التراب، ولم يخلقه من ذكر وأنثى، أي ليس له أب انساني.

واذا كان من اللازم أن تكون هذه الآية رداً على المسيحين، فيجب أن تُفسّر بالشكل الذي بينت، وإلاّ لما كانت قادرة على أن تكون جواباً على ادعاء هؤلاء.

لكن و بغض النظر عن شأن نزول ومقام الآية، هل يمكن القول أن لهذه الآية دلالة على ادعاء أنصار فرضية التكامل أم لا؟

والجواب؛ هو أن هذه الآية تختار السكوت ازاء هذا الموضوع، لأن كلمة «**الخلق**» قد استعملت في القرآن الكريم بمعنى الخلق الإبتدائي (ادعاء مناهضي فرضية التكامل) وأيضاً بمعنى الخلق في المراحل اللاحقة، وبعبارة أخرى توليد المثل (ادعاء أنصار فرضية التكامل).

ولما كان من المُسَلَّم به أن هذه الآية هي في مقام الرد على استدلال المسيحين، و بغض النظر عن أنه لا توجد أية مؤيدات لفرضية التكامل، فيجب أن نقبل ونعترف بأن الله تعالى خلق إنساناً بإسم آدم من التراب لا عن طريق توليد المثل:

«قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ: أَنَا خَيْرٌ منه خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

(الأعراف ــ ١٢)

وهذه الآية الشريفة هي استمرار لقصة رفض الشيطان لطاعة أمر الله فيا يخص السجود لآدم، و يدور الحديث في الآية التي تسبقها عن مسألة مراحل خلق البشر التي سنتطرق اليها فيا بعد. لكن الذي ــ يجب أن ــ يُبحث في هذه الآية هو الإجابة التي يعطيها الشيطان حين يقول: «**أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين**».

ومثلما قلنا في الآية ــ ٥٨ ــ من سورة آل عمران، فإن هذا الجزء من القصة ليس له أية دلالة على أن خلق الإنسان هو خلق ابتدائي أو توليد المثل.

وتختلف هذه الآية عن آية آل عمران، حيث استعملت كلمة «التراب» في تلك الآية بينما في آية الأعراف استعملت كلمة «**الطين**». وطبيعي انه لا التراب ولا الطين من محاصيل الأرض. ولذلك لايمكن اعتبار الطين من محاصيل الأرض.

و بالنتيجة فأن كلمة «**الطين**» في هذه الآية تستطيع أن تثبت صحة هذا الإحتمال وهو أن المقصود من خلق آدم هو خلقه الإبتدائي من الطين وليس من توليد المثل.

«ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإٍ مسنون»

(الحجر ــ ٢٦)

وتستطيع هذه الآية الشريفة أن تكون دلالة واضحة عن صحة هذا الإحتمال من أن المقصود من الخلق في هذه المجموعة من الآيات هو الخلق الإبتدائي وليس توليد المثل. ذلك أن الخلق من الطين الأسود، أي أن يتحول الطين الى حالة أخرى كالحالة التي يكون عليها في صناعة الفخار، ويجفف، ومن ثم يخلق منه آدم، هو مسألة تتباين كلياً مع مسألة خلق الإنسان عن طريق توليد المثل.

وعلى هذا الأساس، فأن الآيتين؛ ٥٨ من سورة آل عمران و ١٢ من سورة الأعراف تتحدثان ــ بدون شك ــ عن الخلق الإبتدائي.

الى هنا عرفنا بأن الباري جلّ وعلا خلق موجوداً من الطين كان اسمه آدم.

والقرآن الكريم يعبّر عن هذا الموجود بكلمة «الانسان»، كما يعبر عنه في آية أخرى بكلمة «البشر»:

«واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون»

(الحجر ــ ٢٨)

وبموجب الآيات اللاحقة (التي سنتطرق اليها خلال البحث) فإن الله تعالى قال للملائكة بأنه خلق بشراً ونفخ فيه من روحه، ثم أمرهم بالسجود له، وأستجاب جميع الملائكة للباري تعالى إلّا إبليس الذي أبى أن يطيع أمرالله. ولذلك سأل الله الشيطان عن سبب امتناعه؟ فقال الشيطان:

«قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون»

(الحجر ــ ٣٣)

والبحث الذي أجريناه، حول الآية (٢٦) من هذه السورة، يتكرر مرة أخرى هنا. وان هاتين الآيتين تتشابهان في الحقيقة مع الآية (٢٦) غير أن تباينهما يكمن في التعبير فقط. في الآية ٢٦ ورد تعبير «الانسان»، بينما ورد في هاتين الآيتين تعبير «البشر». ومع ذلك فليس هناك أي تباين بين هذين التعبيرين من حيث المعنى.

جاء في المنجد: «البشر» الإنسان ذكراً وأنثى واحداً وجمعاً.

وهذا يعني بأن كلمة «البشر» تعني الإنسان في جميع الأحوال سواء أكانت مؤنثة أو مذكرة، أو مفردة أو جمع.

ومع أن كلمة «الانسان» التي وردت في الآية (٢٦) تدل على العموم، لكنها تأتي بمعنى النوع أيضاً، ويمكن القول هنا بأن المقصود هو أن الإنسان الأول (آدم) قد خلق من الطين. ومن هنا فأنه من الصحيح فيما لو قلنا بأن جميع أفراد البشر قد خلقوا من الطين، إذ ان الطين هو منشأ خلقهم.

وفي الآية (٣٨) وردت كلمة «بشراً» بصورة نكرة تدل على شخص واحد. وهذا يعني بأن الله خلق انساناً واحداً أو بشراً واحداً من الطين وسماه «آدم».

«قال ءأسجد لمن خلقت طينا»

(الإسراء ــ ٦١)

وهذه الآية تشبه الآية (١٢) من سورة الأعراف من حيث الدلالة، وقد مرّ الحديث عنها.

«قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تُراب» (الكهف ــ ٣٧)

«مِنْها خَلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى»

(طه ــ ٥٥)

ودلالة هاتين الآيتين تتشابه مع آية (٥٨) من سورة آل عمران. وفي تعبير «خلقَك» يعود ضمير المخاطب للانسان.

«... فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغفة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدكم....»

(الحج ــ ٥)

طبيعي أن الخلق من التراب «**خلقناكم من التراب**» والخلق من النطفة والعلقة والمضغة لايستطيعان أن يصدقا معاً حول انسان واحد، اذ لايصح القول إن أحد الأشخاص قد خلق من التراب في الوهلة الأولى، ثم خلق من نطفة وعلقة ومضغة في المراحل الأُخرى. ولذا فاننا مضطرون للاعتراف بأن الخلق من التراب، خاص بالإنسان الأول. ومع الأخذ بنظر الاعتبار كلمة ثم، فأن بقية أفراد البشر الذين جاؤوا بعد الإنسان الأول خلقوا من النطفة والعلقة والمضغة وعن طريق المراحل الثلاث للخلق، ثم اكتملوا في مرحلتين أُخريين حسب ماجاء في الآية (١٢) من سورة المؤمنون، هما: **إضافة العظام، وكسو العظام باللحم.**

و مع ذلك يوجد هناك احتمال من أن المقصود من التراب هنا هو الأشياء التي تستخرج من الأرض. وإن الآية «استناداً الى هذا الإحتمال» تريد أن تقول بأن الله صنع مادة من التراب باسم «النطفة»، ووضعها في الرجل، وان هذه النطفة تتبدل في الظروف المناسبة الى علقة ومضغة في رحم المرأة، ومن ثم الى عظام، بعدها تغطى العظام باللحم، فيخرج هذا التركيب الجديد من رحم المرأة بهيئة انسان.

ولو تمكنا بمساعدة بعض الآيات مثل الآية (٥٨) من سورة آل عمران من القول بأن المقصود من الإنسان المخلوق من التراب، هو «آدم» باعتباره «الإنسان الأول»، لثبت بطلان الإحتمال الآنف الذكر، وأيضاً لثبتت صحة الاحتمال الأول.

لكن إذا لم نعتبر ماقلناه في الآية (٥٨) من سورة آل عمران، صحيحاً، فإن الآية يكون لها احتمالان. ولايمكن في الوقت الحاضر ترجيح أحد الإحتمالين على الآخر.

لكننا نستطيع كما يبدو أن نرجح الإحتمال الأول، وذلك من خلال الجمع الذي أجريناه على الآيات الواردة فيها كلمة «التراب» والآيات الواردة فيها كلمة «الطين».

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين».

(المؤمنون ــ ١٢ ــ ١٣ ــ ١٤)

ونظراً لاستعمال عبارة **سلالة من طين** بدلاً من كلمة «التراب» في هذه الآية، فإن الإحتمال الأول الذي أُعطي على ضوء الآية(٥) من سورة الحج (أي أن المقصود هو مركبات التراب والأرض) يكون مرفوضاً

هـنـا(١)، إذ انّ مـا يستخرج من الأرض هو من جنـس التراب، وليس التراب المصفى والممزوج بالماء والمبدل الى الطين.

وضمير كلمة «جعلناه» في الجزء الآخر من الآيـة يعـود للانـسـان. والمقصود هو، انه عندما أردنـا أن نخلق الإنسـان في المرة الثانية، فإننا صـنـعـنـا من الإنسان الأول نطفة ووضعناها في رحـم المرأة، وبـعـد أن مرّت النطفة بالمراحل الأربـع: «الـعـلـقـة، المضغة، العظام، واللحم» فـانهـا ظهـرت بهـيـئـة انـسـان، ولما كانت هذه المرحـلـة، أي «حالة الحياة» تتباين مع المراحل السابقة فقد عبّر عنها بـ «الخلق الآخر».

وان لم نـقـبـل هذا التبرير، فسوف لن يكون لـدينا حل سوى أن نقول بأن عبارة: «**ثم جعلناه نـطـفـة في قـرار مكين**» تعني بان الانسان الأول وضـع في مكان قوي ألا وهوالرحم. وهذا القول واضـح بـطـلانـه. ولـكـن إذا نسبنا ضمير كلمة «جـعـلـنـاه» الى سلالة من طين فأن هذا الأمر لـن يـكـون مـعـقـولاً هـو الآخر، لأنه لا الإنسان يتبدل الى نطفة ولا الطين يستقر في الرحم.

ولـذا لايـوجـد أي ابهام في دلالة هذه الآية الشريـفـة على خلق «آدم» أو «الانسان الأول» مـن الـطـين، وخـلـق بقية أفراد البشر عن طريق توليد المثل.

المراحل المختلفة لخلق الانسان:

«**ومـن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون**».

(الروم ــ ٢٠)

وهـذه الآيـة التي تستعمل كلمة «**التراب**» كـبـقـيـة الآيات الأخرى، تنص على ان الإنسان خلق من التراب.

ولو نسبنا ــ هنا ــ ضمير كلمة «خلقكم» الى جميع أفـراد الـبـشر، فـهذا يعني بأن الإنسان خـلـق مـن مـركـبـات التراب. وأيضاً لو اعتبرنا «الـتـراب» بمعنى «الـتـراب» نـفـسـه، لـكـان المـقـصـود من «كم» في كلمة «خلقكم» الأب وأصـل البشر. وفي الحقيقة يكون معنى الآية آنئذ بـالـشـكـل التالي: ومن آياته أن خلق أباكم من التراب.

لـكـن ومع الاخذ بنظر الإعتبار الجزء الآخر مـن الآيـة، أي عبارة «**ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**» الـذي يفصل بين مرحلة الخلق من التراب و بين مرحـلـة الإنـتـشـار، فـأن الإحتمال الثاني يبدو أقوى.

وفي المجـمـوع، فـأن مـعنى الآيـة يـشـبـه معنى الآيـات ٧ و ٨ و ٩ مـن سـورة السجدة التي تنص على أن الله عزّوجل خلق الإنسان من التراب، أي خـلـق أبو الإنسان من التراب ثم أوجد البشر منه.

«**.... وبـدأ خـلـق الانـسـان من طين * ثم جـعـل نسله من سلالة من ماء مهين * ثـم سواهُ ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون**»

(السجدة ــ ٧، ٨، ٩).

هـذه الآيـة الـشـريـفـة تـوضـح جميع بحوثنا الـسـابـقـة، إذ انها تمثل في الحقيقة توضيحاً رائعاً حول الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان من الـتراب أو الطين، ومن ثم من النطفة. فلقد قيل في هـذه الآيـة مـن دون أي ابهام بأن الله عندما

أراد أن يخلق الإنسان، فإنه خلقه من الطين، ثم اقر سنة الزواج، ليولد بقية أفراد البشر بواسطة النطفة.

وبهذا التوضيح يكون تطابق كلمة الإنسان مع كلمة «آدم» الواردة في الآية ٥٨ من سورة آل عمران بعيداً عن أي إشكال. ومن جهة أُخرى فأن عبارة «ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» تستطيع أن تكون دلالة على صحة هذا الإحتمال وهو انه عندما يدور الحديث في بعض الآيات مثل، الآية (٥) من سورة الحج، والآيات ١٢، و ١٣، و١٤ من سورة المؤمنون، عن خلق الإنسان من الطين ومن ثم من النطفة، فهذا يعني بأن الإنسان الأول خلق من الطين، بينما خلق بقية أفراد البشر عن طريق توليد المثل.

و من هنا لابُدّ من القول إن هناك احتمالين فيما يخص الجزء الأخير من الآية والمتمثل بعبارة «**ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه**»: الاحتمال الأول؛ أن يكون هذا الجزء من الآية عائداً الى عبارة: «**وبدأ خلق الانسان من طين**»، وتكون جملة: «**ثم جعل نسله من ماءٍ مهين**» جملة معترضة، أو يكون عائداً الى كلا العبارتين، بحيث يكون المقصود أن أمر تسوية الإنسان ونفخ الروح خاصاً بالإنسان المخلوق من الطين وأيضاً بأفراد البشر الذين خلقوا فيما بعد بواسطة النطفة، ذلك ان النطفة لكي تتحول الى موجود حي وكامل فأنها تحتاج الى التسوية ونفخ الروح فيها.

«**والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير**».

(فاطر ــ ١١)

هذه الآية لا تملك شيئاً إضافياً قياساً الى الآيات الأُخرى، ومع ذلك فأن الجزء الأخير منها يلفت الانتباه. فبعد أن تقول الآية: **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة** فإنها تضيف قائلة: **ثم جعلكم أزواجاً** .

وظاهر هذه العبارة يستطيع أن يطرح الإشكال التالي وهو أن مسألة «الأزواج» لم تكن مطروحة قبل خلق بقية أفراد البشر بواسطة النطفة. ولكن كيف كان يمكن أن يتحقق الخلق بواسطة النطفة؟

لكن هذه الآية الشريفة هي بصدد توضيح الأمر التالي وهو أن الله عندما يخلق البشر من النطفة فإنه يخلق ذكوراً واناثاً ليتزاوجوا، ولتتحقق عملية توليد المثل.

أما متى بدأ خلق الزوج للإنسان الأول؟ فهو مسألة ليست هذه الآية بصدد بيانها. وطبيعي أنه ليس من المعقول القول إنه في الوقت الذي خلق البشر بواسطة توليد المثل وبواسطة النطفة، فإن خلق الزوج للإنسان الأول قد عقب الخلق عن طريق النطفة.

فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقنا هم من طين لازب .

(الصافات ــ ١١)

لا تتحدث هذه الآية إلاّ عن الإنسان الأول المخلوق من الطين، ولا يمكن حمل الطين على مركبات التراب، إذ أن كلمة «لازب» تدل على الطين الذي يمكن ببساطة تحويله الى أشكال مختلفة. وان ضمير «هم» يعود لأصل

الانسان أو بالأحرى الانسان الأول.

اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين .

(ص—٧١)

فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

(ص—٧٢)

فسجد الملائكة كلهم اجمعون .

(ص — ٧٣)

الا ابليس استكبر وكان من الكافرين.

(ص—٧٤)

قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين .

(ص—٧٥)

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .

(ص—٧٦)

كما أن الآيات (٢٨— ٣٣) من سورة الحجر تبين هذا الأمر، ولكن مع فارق ضئيل في التعبير. ولقد تحدثنا مافيه الكفاية عن عبارة «صلصال من حماٍ مسنون».

ووردت في هذه الآيات كلمة الطين التي تحدثنا عنها مسبقاً. ولذلك لم يبق لدينا ما نقوله حول هذه الآيات.

هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلاً مسمى ولعلكم تعقلون .

(المؤمن—٦٧)

وما جاء في هذه الآية وفي الجزء الأخير من الآية (٥) من سورة الحج قد أشير اليه مسبقاً.

خلق الانسان من صلصال كالفخار .

(الرحمن—الآية ١٤)

تشير هذه الآية الشريفة الى إحدى مراحل خلق آدم من الطين. ولقد فهمنا من الآيات السابقة، أن الله خلق آدم من الطين، إذ خلط التراب النقي مع الماء، فصنع الطين، وجعل ذلك كالطين الذي يستخدم في صناعة الفخار. ان كلمة «مسنون» في تعبير «صلصال من حماٍ مسنون» تعني ذلك النوع من الطين الذي يستخدم في صناعة الفخار، حيث ان «سن الطين» يعني: عمله فخاراً — المنجد — وخلق منه آدم، ثم نفخ فيه روحاً. أما عبارة **صلصال كالفخار** الواردة في هذه الآية فهي دلالة واضحة على معنى **«صلصال من حماٍ مسنون»** وتؤيد هذا الأمر.

اضافة الى ذلك، ومع الأخذ بنظر الاعتبار معنى الصلصال الذي هو الطين الجاف —حسب ماورد في معاجم اللغة—ومعنى الفخار الذي يعني هو الآخر الطين الجاف، فأن احتمال كون آدم قد خلق من التراب والطين بهيئة موجود حي ذوخلية واحدة ليس صحيحاً.

الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هواعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هواعلم بمن اتقى .

(النجم—آية ٣٢)

وهنا فأن عبارة **«انشأكم من الأرض»** يمكن أن تفسر بمعنى «أنشأكم مما في الأرض» أو «مما يعمل من الأرض». كما يمكن أن تفسر

بمعنى «أنشأ آباءكم من الأرض». لكن وعلى أي حال فإن الآية تخلو من أي ترجيح لأحد الإحتمالين التاليين، وهما؛ احتمال ما إذا كان المقصود هو الإنسان الأول، واحتمال ما إذا كان المقصود هو بقية أفراد البشر الذين جاؤوا بعد الانسان الأول.

والله انبتكم من الارض نباتا * ثم يعيد كم فيها ويخرجكم اخراجاً»

(نوح—١٧—١٨)

وهذه الآية تريد أن تبين حقيقة المعاد، كما تريد أن تقول: إن قدرة الله على خلق الإنسان من الأرض واتته، أي إعادته الى الأرض، هي مقدمة لاثبات القدرة على البعث.

وعلى هذا الأساس فأن الآية تريد من خلال عبارة **«والله انبتكم من الأرض نباتاً»** التذكير بالملاحظة التالية وهي أن الله له قدرة عظيمة يستطيع معها أن يخلقنا من الأرض والتراب بهيئة موجودات حية.

و من المحتمل فيما لو أخذنا بنظر الإعتبار لفظة **«انبات»** أن يقال بأن الآية تشير الى فرضية التكامل، إذ أن معنى الآية هو أنه مثلما تنبت البذرة في الأرض نتيجة للرطوبة والظروف المناسبة الأخرى، وتتبدل الى موجود صغير له القدرة على النمو، بحيث يخرج هذا الموجود من الأرض و يتبدل الى نبتة، فأن الإنسان قد خلق ونما من الأرض بنفس الصورة.

إلا أن كلمة **«الإنبات»** لا تتناسب مع التكامل التدريجي، إذ انه من غير الصحيح إطلاق كلمة النمو على الموجود الذي يظهر وفق نظرية التكامل. فالبذرة تنمو في الأرض، إلا أن «الفيروسات» تصنع من الطين نفسه.

وقد استخدم القرآن الكريم عبارة **«وأنبتها نباتاً حسناً»** بمعنى الإنماء. وهذه العبارة تتحدث عن مريم، وهي من أحد مصاديق ضمير الجمع «كم» في كلمة «أنبتكم».

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً، وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون .

(الأنعام—٢)

قد يقال عند النظر الى هذه الآية أنها تتطابق مع نظرية التكامل، لأنها تتحدث عن الأجل، لكن الحقيقة هي أن وجهة النظر هذه تتطابق كذلك مع وجهات نظر المفسرين، إذ لو كان الله قد خلق الإنسان من الطين الذي وصفه بـ **«صلصال من حمإٍ مسنون»** و **«خلق الانسان من صلصال كالفخار»** فلابُدّ من توفر الأجل بين المرحلة الطينية والمرحلة الإنسانية.

ولذا، فهذه الآية تقبل لوحدها الإنطباق على كلا وجهتي النظر، ولكن في المجموع يجب حملها على رأي المفسرين.

إضافة الى ذلك، فأن الإحتمال الأقوى هو أن يكون المقصود من الأجل في هذه الآية، عمر الإنسان في هذه الحياة، وأن **«الأجل المسمى»** الذي يتحدث عنه الخالق ليس إلا الموت. وفي هذه الحالة، فان الجزء الأول من الآية هو بصدد توضيح كيفية خلق الإنسان الأول «آدم»، بينما الجزء الآخر منها لاعلاقة له بمسألة الخلق. والذي يؤيد هذا الإحتمال هو عبارة. «ثم أنتم تمترون» التي تقول انه بالرغم من أن الله قد خلقكم ثم يميتكم من جديد، إلا أنكم تشكون في عمل الله.

والنتيجة؛ هي ان الجزء الأول من هذه الآية هو بصدد توضيح كيفية خلق الإنسان الأول، كما يريد بهذه الوسيلة أن يقول لنا (نحن أفراد البشر) انه بالرغم من أن اللّه خلق الانسان من الطين بصورة غير طبيعية، وخلقنا من ذلك الإنسان، وانه يميتنا بإرادته بعد انقضاء مدة معينة لايعلمها إلا هو (سبحانه وتعالى) فكيف اننا مع كل ذلك نشك في أمر الله.

إن هذه الآية ترفض بدورها نظرية التكامل ●